

المحجاج

١٣١٥

بؤني الحكمة من يشاء من يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

بشر عبادي الذين يستمعون القول فيؤمنون
أو نكح الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي و« منارة » كمنار الطريق

﴿ مصر - رجب الحرام سنة ١٣٢٤ - أوله ٢٣ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٦ ﴾

سيرة السلف الصالحين . في نصيحة السلاطين

تابع لما نقل عن الأحياء

« وحكي أن حطيظا الزيات جيء به إلى المحجاج فلما دخل عليه قال أنت حطيظ ؟ قال نعم سل عما بدا لك فأنى عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال إن سئلت لأصدقن وإن ابتليت لأصبرن وإن عوقبت لأشكرن . قال فما تقول في ؟ قال أقول إنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة . قال فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟ قال أقول أنه أعظم جرم منك وإنما أنت خطيئة من خطاياهم . قال فقال المحجاج ضعوا عليه العذاب قال فأنتهى به العذاب إلى أن شق له القصب ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون تصبة تصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئاً . قال فقيل للمحجاج أنه في آخر ربه فقال أخرجوه فارموا به في السوق . قال جعفر (أي راوي الحكاية) فأنتهى أنا وصاحب له فقلنا له حطيظ ألك حاجة فقال شربة ماء فأثروه بشربة ثم مات وكان ابن ثمان عشرة رجه الله تعالى

وروي ان عمر بن هبيرة (والي العراق لبي أبيه) دعا بقتباء أهل البصرة
وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرأها فجعل يسألهم وجعل يكلم عامراً
الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء الا وجد عنده منه علماً ثم أقبل على الحسن البصري فسأله
ثم قال هاهذان - هذا رجل أهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل أهل البصرة يعني
الحسن فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فأقبل على الشعبي فقال يا أبا
عمر واني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليا ورجل مأمور على الطاعة
ابليت بالرعية ولزمني حقيم فاننا أحب حفظهم وتعمد ما يصلحهم مع النصيحة لهم
وقد يلغني عن العصابة من أهل الديار الا امر أجد عليهم فيه فأقبض طائفة من
عظائم فأضمه في بيت المال ومن نبي ان أردت عليهم فيبلغ أمير المؤمنين أي
قد قبضت على ذلك النعم فيكتب الي ان لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا انفاذ
كتابه وانما أنا رجل مأمور على الطاعة فهل علي في هذا تبة وفي اشباهه من الامور
وانية فيها على ما ذكرت قال الشعبي قلت أصلح الله الأمير انما السلطان والد
يخطئ ويصيب قال فسر بقولي وأعجبه ورأيت البشر في وجهه وقال فله الحمد
ثم أقبل على الحسن فقال ما تقول يا أبا سعيد قال قد سمعت قول الأمير يقول
انه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليا ورجل مأمور على الطاعة ابليت بالرعية
ولزمني حقيم والنصيحة لهم والتعمد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك
ان تحوطهم بالنصيحة واني سمعت عبد الرحمن بن سيرة القرشي صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استرحي رعية فلم
يصلها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة (١) ويقول ايدي بما قبضت من عظائم ارادة
صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا الي طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين أي قبضتها
على ذلك النعم فيكتب الي ان لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا أستطيع انفاذ
كتابه وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين والله احق ان يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية
الخالق فلعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فإن وجدته موافقا
لكتاب الله فخذ به وان وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذ به يا ابن هبيرة اتق الله فانه

(١) رواه البهوي باسناد ابن والشيخان وغيرها بالمعنى

يوشك ان يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سر برك ويخرجك من
سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودينك خلف ظهرك وتقدم على ربك
وتنزل على عمالك يا ابن هبيرة ان الله ليمسك من يزيد وان يزيد لا يمنك من
الله وان امر الله فوق كل أمر وانه لا طاعة في معصية الله وانى أحذرك بأسه
الذي لا يرد عن القوم المجرة من: فقال ابن هبيرة اربع على ظلمك أيها الشيخ وأعرض
عن ذكر أمير المؤمنين فان أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب
الفضل وانما ولاء الله تعالى ما ولاء من أمر هذه الامة لعلمه به وما يعلمه مما فضله
وزيته: فقال الحسن يا ابن هبيرة الحساب من ورائك بسوط وسوط وغضب بغضب
والله بالمرصاد يا ابن هبيرة انك ان تلقى من ينصح لك في دينك ويحملك على
أمر آخرتك خير من ان تلقى رجلا يفرك ويمسك فقام ابن هبيرة وقد بسروجه
وتعبر لونه قال الشعبي فقلت يا أبا سعيد أغضبت الامير وأوغرت صدره وحرمتنا
ومروفه وصلته فقال اليك عني يا عامر قال فخرجت الى الحسن التحف والطرف
وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لا أدى اليه وكنا أهلا أن
يفعل ذلك بنا فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء الا مثل الفرس العربي
بين المقاريف (١) وما شهدنا مشهدا الا برز علينا وقال لله عز وجل وقلنا مقاربة لهم
قال عامر الشعبي وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحايه

وعن الشافعي رضي الله عنه قال حدثني عمي محمد بن علي قال اتى لحاضر مجلس أمير
المؤمنين أبي جعفر المنصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال فأتى
الفقار يون وشكوا الى أبي جعفر شيئا من أمر الحسن بن زيد فقال الحسن يا أمير المؤمنين
سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب فقال أشهد
انهم أهل تحطم في اعراض الناس كثيرا والاذى لهم فقال أبو جعفر قد سمعتم فقال
الفقار يون يا أمير المؤمنين سله عن الحسن بن زيد فقال أشهد عليه انه يحكم بغير
الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح

(١) وفي نسخة المقاريف وكلاهما جمع مقرف كحسن وهو ما كان ابوه ذؤيب

عربي ويقابله الهجين

فقال يا أمير المؤمنين أسأله عن نفسك فقال ما أقول في قال تعفيني يا أمير المؤمنين قال أسألك بالله ألا أخبرني قال تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال أنك أخذت هذا المال من غير حقه فحطته في غير أهله وأشهد أن الظلم ببابك فاش قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب فقبض عليه ثم قال له أما والله لولا أني جالس هنا لأخذت فارس والروم وللديلم والترك بهذا المكان منك قال فقال ابن أبي ذؤيب يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذنا الحق وقسما بالسوية وأخذنا بأفقاء فارس والروم وأصغرا آفاهم قال فخطى أبو جعفر قفاه وخطى سبيله وقال والله لولا أني أعلم أنك صادق لتضيتك فقال ابن أبي ذؤيب والله يا أمير المؤمنين أني لا نصح لك من ابنك المهدي قل فبلغنا أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف في مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا أبا الحرث لقد سررتني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءتني قولاك له ابنك المهدي فقال يضر الله لك يا أبا عبد الله كنا مهدي كنا كان في المهدي وعن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث الي أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالاحل فأتيته فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال لي ما الذي ابتأ بك عنا يا أوزاعي قل قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين قال أريد ألا أخذ عنكم والاقْتباس منكم قال فقلت فانظر يا أمير المؤمنين أنك لا تجهل شيأ مما أقول لك قال وكيف لأجبه وأنا أسألك عنه وفيه وجهت اليك واقدمتك إليه قال قلت أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح بي الربيع وأهوى بيده إلى السيف فاستهره المنصور وقال هذا مجلس مشوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسي وانبسطت في الكلام فقلت يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ايما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فأبها نعمة من الله سبقت اليه فإن قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثمًا ويزداد الله بها سخطا عليه » يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما وال مات غاشيا

رعيته حرم الله عليه الجنة (١) يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذي لين قلوب امثلكم لكم حين ولا كم أمورهم اقرابكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم رؤفا رحيا مواسيا لهم بنفسه في ذات يده محمدا عند الله وعند الناس فحقيق بك ان تقوم له فيهم بالحق وان تكون بالقسط له فيهم قائما وله وراهم ساترا لا تفتق عليك دونهم الابواب ولا تقم دونهم الحجاب تبهج بالعمة عندهم وتبتشس بما أصابهم من سوء، يا أمير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملأكمهم أحمرهم واسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبث منهم فئام وراء فئام وليس منهم احد الا وهو يشكو بلية دخلتها عليه ، أو ظلامه سقتها اليه، يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال كانت بيدرسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المناققين فأناه جبرائيل عليه السلام فقال له يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق ابارهم وسفك دماءهم وخرّب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيرهم الخوف منه يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده فأناه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله لم يعطك جبارا ولا منكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الاعرابي فقال اقتص مني فقال الاعرابي قد أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك ابدا ولو على نفسي فدعا له بخير (٢) يا أمير المؤمنين قد سأل جدك العباس النبي صلى الله عليه وسلم امانة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي عليه السلام « يا عباس يا عم النبي نفس تحميها خير من امانة لا تحميها » (٣) نصيحة من لعمه وشفقة عليه وأخبره انه لا يقضي عنه من الله شيئا اذ أوحى الله اليه (وانذر عشيرتك الاقربين) فقال يا عباس وياصفية

(١) رواه ونا قبله وكذا حديث الجريدة الآتي - ابن ابي الدنيا في مواظ

الخطباء وابونعيم وابن عساكر والبيهقي في الشعب (٢) رواه من ذكر وابوداود والنسائي

(٣) رواه ابن ابي الدنيا والبيهقي وابونعيم وابن عساكر

عبي النبي ويافاطمة بنت محمد أبي لست أغني عنكم من الله شيئاً إن لي عملي
 وأبي عمالي (١) وقد قل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقيم أمر الناس إلا حصيف
 المثل أرباب امتد لا يبالغ منه على عررة ولا يخفف منه على حرة ولا تأخذه في الله
 لومة لائم وقل الاصراء أربعة فأمير قوي ضئف (أي منه) نفسه وعماله فذلك كالجاهد
 في سبيل الله يد الله بأسيطة إياه الرحمة وأمير فبه ضئف ضئف نفسه وأرتم عماله لضعفه
 فهو على شفا ذلك إلا أن برحه الله وأمير ضئف عماله وأرتم نفسه فذلك الخطمة
 الذي قل فبه رسول الله صلى الله عليه وسلم « شمر الرثاة الخطمة » فهو الهالك
 وحده (٢) وأمير أرتم نفسه وعماله فملكوا جميعاً :
 وبعد أن أحال في وعظه بما حذفا بهما اختصاراً قل

« يا أمير المؤمنين من أشد أشدة اقيام لله بحقه وإن أكرم الكرم عند الله
 انتوى وأنه من طاب المز بطانة الله رفقه الله وأخزه ومن طال به بهصية الله أذله
 الله ووضعفه فهذه نصيحتي إليك والسلام عليك : ثم نهضت فقل لي إلى أين فقلت
 إلى الولد والوطن باذن أمير المؤمنين إن شاء الله فقل قد اذنت لك وشكرت لك
 نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمهين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو
 حسبي ونعم الوكيل فلا تخني من مطالعتك أي أي بمثل هذا فانك لتقبل القول
 غير المتهم في النصيحة : فقلت أفعل إن شاء الله تعالى قال محمد بن مصعب فاص
 له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقل أنا في غنى عنه وما كنت لأيسم
 نصيحتي بعرض من الدنيا . وعرف المنصور مذهبه فلم يمجده عليه في ذلك

« وعن ابن المهاجر قل قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله حاجاً
 فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به
 فإذا طلع الفجر جمع إلى دار الندوة وجاء المؤذنون فلموا عليه واقامت الصلاة
 لبصلي بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينما هو يطوف إذ سمع رجلاً عند
 المنترم وهو يقول : اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول

(١) رواه البخاري وغيره على خلاف في اللفظ

(٢) رواه مخرجو الاحاديث السابقة وهم لم وغيرهم

بين الحق وأهله من الظلم والطمع. فأسرع المنصور في مشيئته حتى ملأ مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعاه فاتاه الرسول وقال له أجب أمير المؤمنين فصلي ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والظلم فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني وأقلقني. فقال يا أمير المؤمنين إن أمتي على نفسي إن أتت بالأمور من أصولها والا اقتصرت على نفسي فنيها لي شغل شاغل. فقال أنت آمن على نفسك فقال: الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الأرض أنت: فقل وبمحك وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في بدني والحلو والحامض في قبضتي: قل وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين إن الله استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأنفقت أموالهم وأهتومت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنيت نفسك فيها عنهم وبهت عمالك في جمع الأموال وجبايتها واتخذت وزراء وأعوانا ظلمة إن نسيت لم يذكروك، وإن ذكرت لم يبينوك، وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والكراع والسلاح، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان نفر سميتهم، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضيف ولا الفقير، ولا أحد إلا وله في هذا المال حق، فلما آرك هؤلاء انفروا الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يجيبوا عليك بمجيئك إليك الأموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا نخونه وقد سخرنا فآثمروا على أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالفهم أمر الأافصوه حتى تسقط منزلته وبصفر قدره فلما تشر ذلك عليك وعنهم أعظهم الناس وها بهم وكان أول من صانهم عمالك بالهدايا والوال ليقوا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك ليناوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلات بلاد الله بالطمع بنيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطتك وانت غافل فإن جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول إليك وإن أراد رفع صوته أو قصته إليك عند ظهورك وجدك قد مهيت عن ذلك ووقف للناس رجال ينظرون مظالمهم فن جاء ذلك

الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته وان كانت له مظالم به حرمة واجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزل المظلوم يمتثل اليه ويلوذ به ويشكو ويستفتي وهو يدفعه ويعتل عليه فاذا جهد وأخرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضرا بامبرح اليكون نكالا اميره وانت تظن ولا تنكر ولا تغير فما بقاء الاسلام وأهله على هذا . واقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهي اليهم المظلوم الارفت ظلامته اليهم فينصف ولقد كان الرجل يأتي الى أقصى البلاد حتى يبلغ باب ساطانهم فينادي يا أهل الاسلام فيبتدرونه: مالك مالك؟ فيرفعون مظلمته الى ساطانهم فيتصرف . ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر الى أرض الصين وبها ملك فقد متها مرة وقد ذهب مع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه مالك تبكي لا بكت عينك فقال أما اني لا أبكي على المصيبة التي نزلت بي ولكن أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قل اما ان كان قد ذهب سمي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا لا يبس ثوبا احمر الا مظلوم فكان يركب الفيل ويطوف طرقي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وأنت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغلبك رافة بالمسلمين ورقتك على شح نفسك »

وبعد ان أطلت في موعظته وخوفه من اذ وعذاب الآخرة بما حذرت به من الضيق للاختصار بكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال يا ليتني لم اخلق ولم أك شيئا ثم قال كيف احتيالي فيما خولت ولم أر من الناس الا خائنا فقال يا أمير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلماء قال قد فروا مني قال هر بوا منك مخافة ان تعملهم على ما ظهر من طريقك من قبل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ هذا الشيء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل . وانا ضامن على ان من هرب منك أن يأتيك فيما ونك على اصلاح أمرك ورعيك . فقال المنصور اللهم وقتني ان أعمل بما قال هذا الرجل

(المنار) اليس ملوكنا الآن أحوج الى مثل هذه النصيحة من المنصور وهم غير منصورين ليس حالهم شرا من حاله وملكهم دون ملكه وهروب الخيار منهم أكثر من هروبهم منه والخطر عليهم من الظلم أشد من خطره عليه في زمنه ؟ بلى ولكن أين العلماء الناصحون ؟

﴿ المعارف في مصر قبل الثورة العراقية ﴾

كانت الحكومة المصرية قد دخلت في أول عهد ولاية توفيق باشا في طور جديد من الإصلاح الحقيقي وكان الفضل الأول في تنفيذ ذلك لرياض باشا وكان الأستاذ الامام رحمه الله تعالى في تلك الوزارة الرياضية عقلا مفكرا وروحاً مدبراً إذ كان برئاسة قلم المطبوعات وتحرير الجريدة الرسمية كما سيطر على جميع أعمال الحكومة كما بيانا في ترجمته من المجلد الثامن . ومن ذلك عنايته بانتقاد نظارة المعارف انتقاداً كان له شأن عظيم في اصلاح شأنها واننا نورد هنا بعض مقالاته نقلاً عن الجزء الثاني من تاريخ حياته (الذي يطبع الآن) وهي

وكتب في العدد ٩٩٠ منها الصادر في ١٨ المحرم سنة ١٢٩٧ - ٧٠

ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

كثير تحدث الناس في شأنها في هذه الاوقات وكانهم لما فرغوا من الافكار المتعلقة بالامور المالية والادارية وما كان فيها من الاضطراب وتنوع الاحوال وتقلب الاشكال اذ كفتهم الحكومة امر ذلك كله بشياتها وتبصر رجالها العقلاء أخذوا يلتفتون الى ما به حياتهم الحقيقية ونمو هيتهم الاجتماعية وظهور شأنهم بين الناس وحسبانهم في عداد أهل العالم وهو العلم النافع الذي رأينا جيراننا من الممالك نالوا به السيادة على غيرهم وطفقوا يتذكرون فيما به يكون تقدمه والوسائل الموصلة الى انتشاره في أقطاره موجهين آمالهم الى نظارة المعارف العمومية لانها ذات الشأن فيه فقالوا كلاماً كثيراً اذ كره كما قيل

قالوا ان المدارس ينبوع هذا الخير الجليل (العلم) وليس له من وسيلة سواها ولكن تحت شروط لا بد من استيفائها (ولنا الآن بصدد بيانها) وقد افتتحت المدارس في ديارنا من عهد المرحوم محمد علي باشا لكن كان اسمها غريباً على الأذان وحشياً عن القلوب يساق الناس اليها (كأنما يساقون الى الموت) إذ كانوا يظنون ان الدخول في المدارس هو الانتظام في العسكرية والدخول في العسكرية

هو الشقاء الدائم والبلاء المحتم و بعض الناس بعد التنبه كانوا لا يرون خطة أرفع من خطة الكتابة في ديوان أو مصلحة لما يرون للمكاتب من المكانة عند المحاكم والتصرف في الحقوق فاكثفوا بإرسال ابنائهم الى الكتبة يعلمونهم حتى اذا كبروا انتظموا في سلكهم وكانت لهم المنزلة المطلوبة بدون حاجة الى مدرسة ولا مكتب منتظم وبعض الناس ربما كان يعلم فائدة المدارس ولكن كانت توجد له أسباب تمنعه من تربية أبنائه فيها اولئكنا لا نبديها وأما في أيامنا هذه فقد تسببت العقول ووقفوا على فوائد العلم وثمراته حق الوقوف غير أن ذلك يقضي على الآباء تربية أبنائهم من الآن فصاعداً على الطريقة المنتظمة أما الشبان الذين فاتهم زمن التعليم في تلك الجهالة السابقة واشتغلوا بتحصيل مادة المعاش إما بالتوظف في الخدمات المبرية أو طلب الكسب من وجوه أخرى ولهم شوق تام الى كسب فضيلة العلم فلا تساعد أحوالهم بالضرورة على الرجوع الى التعليم في مكاتب الاطفال وتعطيل اسباب معاشهم فيود الكثير منهم ان تكون في البلاد مدارس ليلية يتداركون فيها بعض ما فاتهم في الأزمنة السابقة أزمنة جهل آباءهم لعلمهم بذلك ينفعون أنفسهم وبلادهم بأكثر مما يقدرون عليه الآن حتى اهتم بعض من الشبان من مدة نحو سنتين بتأليف جمعية لفتح مدرسة ليلية ثم عارضتهم بعض الموانع فلم تساعد المقادير على النجاح وكانوا في انتظار توفيق الله يسوق اليهم ذلك الخير حتى سمعوا بان نظارة المعارف تروم افتتاح مدرسة ليلية ففرحوا واستبشروا وقالوا نعمة من الله سبقت لنا نودي له مزيد الشكر عليها ثم انقبضت نفوسهم عند ما سمعوا من شروط تلك المدرسة ان تكون دروسها باللغة الفرنسية خاصة ولا يقبل فيها الا من كانت عنده مبادئ الرياضيات والطبيعات وله تقدم في اللغة الفرنسية وقالوا ياسبحان الله ان المدارس الليلية في البلاد المتقدمة تقرأ فيها العلوم الابتدائية باللغة العامية مع التزام التسهيل في التعبير والتحاكي عن ذكر الالفاظ الاصطلاحية الغربية أو العسرة التفهيم وذلك لفائدتين (الاولى) ان كل من يعرف القراءة والكتابة يمكنه ان يفهم مبادئ العلوم بهذه الطريقة فلا تفرهمة الذين لم ينالوا حظ التعليم في صغرهم وينتشر العلم حقيقة اذ لا يكون في فهمه صعوبة ولا يمنع الشخص عن أسفاله النهارية (والثانية) انه اذا

كان التعليم على هذا النمط تكون المسائل العلمية لقر بها الى الفهم كاحداثيات تسلي بها النفس بل الذم ذلك اذ لا يدخل الرجل محفل العلم الا ويخرج بنور جديد فتجذب نفوس الناس الى مستملحات العلم فبدل صرف اوقات ليلهم الطوبى بل في مضاجعهم يتقلبون من جانب الى جانب اوفي بيوتهم بمحادثات لا طائل تحتها اوفي اما كن اخرى تتحاشى عن ذكرها يهرعون الى مههد العلم ليفذوا عقولهم ويروحوا قلوبهم ولم نسمع ان امة متمدنة افتتحت مدرسة عالية وجعلتها ليلية فلم عدل عن هذه الطريقة الجليلة في بلادنا واخترعت طريقة جديدة وهو جعل التدريس في المدرسة الليلية بلسان اجنبي عن لسان البلد بالكلية لا يفهمه المتفهم منهم ولا العامي والعلوم التي يقرأ بها عالية لا ابتدائية حتى يحرم الناس الذين هم احوج الى التعليم وأولى به وهم الخدمه وأرباب الكسب المحبون لنيل فضيلة العلم ولا يستطيعون، ويلتفنون على ذلك ولا يجدون، وهو مما يوجب الاسف خصوصا وقد تواتر على الألسنة ان غالب من قبلوا فيها اجانب (وان كان ذلك غير صحيح فعندي علم اليقين بأن الاكثر وطنيون لكن من الذين تعلموا في مدارس الفرير ونحوها) فهل يقال باننا تقدمنا عن تلك الممالك فترقينا حتى صارت مدارسنا الليلية أعلى من مدارسهم أو أيقنا بأن العامة منا والكتاب لا يستفيدون من ذلك شيئا أولا حظت نظارة المعارف انها بذلك تستحصل في زمن قريب على أساتذة يجملهم معلمين في مدارسها ومكاتبها فان كان هذا الوجه الاخير قلنا انها ستجعل (مدرسة الخوجات) نهارا فلها أن تزيد في عدد تلامذتها ماشاء لهذا الفرض على أنه لو سلك في المدرسة الليلية مسلك البلاد المتمدنة لتأتى لنا الوصول الى بعض هذا المقصد فكثير من أهل العلم كان يود أن ينتظم في تلك المدرسة ليتعلم العلوم التي فاته تحصيلها لكن منعه كون التدريس بلغة اجنبية وكون الدروس فوق البدايات وان كان الثاني قلنا ان الاستعداد والشوق موجودان في كثير من الناس ولهم رغبة تامة في التعليم فكيف يصح اساءة الظن بجميع شباننا الى هذا الحد وان كان الاول قلنا الاول ان لا نتكلم واننا وحق الحق لفي حاجة كاية الى ان يكون التعليم الليلي عندنا مستبدا بما آخذنا من البدايات سهل الوسائل ميسر الاسباب

بإفنة بلادنا عامة أو خاصة حتى تنقطع حجة الجاهل و يبطل برهان المكاسل
وتنبعث الفيرة في الكل اذا أقبل البعض على التعليم و يقع التنافس في الفضائل
و يجد الشبان الذين استرسلوا مع هوى الشباب شغلا وتوهمهم الذمة و تلعنهم ضمائرهم
اذا تركوه اذ لا يجدون لهم علة يتعلون بها اذ ذاك بل يرى انه لا بد أن يكون هذا التعليم
العلمي اجباريا عاما لكل مستخدم وقارىء لم يتعلم تمام ما يجب عليه في وظائفه الا
لضرورة تمنه من مرض ونحوه خصوصا بعد ما أعلنت الحكومة ان جميع المستخدمين
في الادارات أو التحصيلات لا بد ان يكونوا من الدراية بحيث يقدرون على تحقيق
القضايا وحل المشكلات بأنفسهم في مواد الجنائيات والحقوق والحسابات ونحو
ذلك وهذا لا ريب يستدعي أن يكون جميعهم على بصيرة تامة وذوي عقل وافر
وهذا لا يمكن الا بعد تحلية العقل بالعلوم الابتدائية التي لا بد منها لكل من يريد
الاستقلال في سيره

هذا حاصل أقوال الناس في شأن المدرسة الليلية التي افتتحها نظارة المعارف
قريبا وربما كانت تلك الأقوال - صحيحة لكن ان صح ما قالوا فليهم بتقديم
آرائهم لسعادة ناظر المعارف ليترى فيها ثم يجيبهم الى مطالبهم ان رآه موافقا
وخاليا من الموانع والمخزورات والأقدم بأن تعميم النفع غير ممكن فحينئذ يعلمون
الحق ويربحون أنفسهم من الجدال ولهم أقوال في مواضع شتى يمنعنا من
ذكرها في هذا العدد ضيق المقام وربما نذكرها غدا ان شاء الله

وكتب في العدد ٩٩٣ الصادر في ٢١ المحرم سنة ١٢٩٨ - ٢٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

مقالات الناس فيها وأفكارهم العمومية متنوعة ذكرنا بعضها في عدد سابق ونذكر
بعضاً منها في هذا العدد حفظاً لمتفرقات الأقوال لعل شيئاً منها يقارن صحة فيصادف
قبولاً وليكون ذلك دليلاً على تنبيه الأفكار والتفات اذهان الناس الى النافع الحقيقي قالوا
نشرت نظارة المعارف الى جميع فروعها منشوراً مبسوط العبارة مشحوناً بالمعاني
الرفيعة قاضياً على نظار المدارس والمكاتب ومعلميها بوجوب التفاهم لوظائفهم وقيامهم

بواجبناهم ميينا لهم أن الامتحانات في العام الماضي على الطريقة الجديدة قد أظهرت أن في بعض المدارس قصورا في التعليم وفي بعضها كمالا وزيادة فاستوجب موظفو الأولى التوبيخ والانذار وموظفو الثانية الشكر والثناء فعلى الجميع من الآن فصاعدا بذل الجهد في ارتقاء درجة التعليم بحيث تكون الاستفادة فعلا وتبصر الاحتفاظا ولقائمة و بين في هذا المنشور كيفية التعليم وطرق التفهيم وانذر من لم يحد حذوها بوقوعه تحت مسؤولية الديوان

فأشرحت صدور العامة والخاصة بهذه التثبيات الأكيدة والتعليمات المفيدة وقلوا العمل بهذا المنشور لا طمأنت نفوس الكافة الى تربية ابناءهم في مدارسنا التي يصرف بها آلاف من الجنيهات على خزينة الحكومة ليرى بها على توالي الازمنة رجال يكونون فخر البلاد وجماعة زمارها فتدكات النفوس في ريب من نجاح التعليم فيها قبل اليوم ولذلك كانت مدارس الفرير والانكليز والامريكان والبروسيان وغيرها عامرة بأبناء الأهالي مسلمين ومسيحيين ومدارسنا ليس فيها منهم العدد اللائق بشأنها ولم يكن ذلك الا لما أظهرته التجربة من نجاح التعليم في تلك وقصوره في هذه مع سراعاة الآداب التي يفرح بها الوالدان والاقارب في المدارس الاجنبية واغفالها في مدارسنا لكن (الحمد لله) تلك أيام قد خلت فان التفات سماعة ناظر المعارف الى كيفية التعليم ونشد يده في ان تكون على وجهها الحقيقي مما يعيد الآمال ويقويها

الا أنهم يتساءلون فيما بينهم بسوالات كثيرة منها قولهم هل حصلت المكافأة الحقيقية لمن أظهر الامتحان اجتهادهم من النظار والمدرسين وهي مكافأة الدينار والدرهم فان مكافأة الشكر والثناء وان كانت واجبة وهي من أجل المكافأة وأجملها ولهذا تأثير في جلب الرغبات وتقوية العزائم لكنها لا تلتصق بالقلب التصاق النقود والمساعدة المعاشية فان من ضاق عليه العيش وكانت حاجاته أكثر من اراده لانفك عنه الوساوس ولا يبارح ذهنه الاضطراب وتقلب مننصات الحاجة وآلامها على الفرح الذي أنعشه عند ماسمع كلمة الثناء عليه ثم ذلك ينقص من اجتهاده ويحبط من همته بل ربما أورت خلافا في كيفية تاديبه لوظائفه خصوصا اذا

رأى غير المجتهد مماثلاً له في الرزق وأوفر راتباً منه ولقد صدق القائل النقص من الرواتب نقص من الاعمال: لكن المنشور لم يذكر فيه حصول تلك المكافأة مع أن المسموع ان ميزانية المدارس كانت قابلة لذلك ونظارة المالية تسمح باستغراقها بل نود لو يزداد فيها

وقولهم هل جميع من نشر عليهم هذا المنشور الجليل يدركون الغرض منه حق الإدراك وإذا أدركوه فهل يوجد عندهم من اقوة العملية والتدرب على الطرق الجديدة ما يؤهلهم لأجرائه والسير بمقتضاه بحيث تحصل الغاية منه بمجرد نشره أو ان الكثير منهم محتاج لأن يتعلم تلك الطرق ويتمرن عليها والبعض ربما لا يمكنه ذلك حتى ولا بالتعليم وهل امتحن المملون والنظار كما امتحنت التلامذة وعلم المستعد منهم وغير المستعد بوجه الدقة والضبط حتى اذا وجد منهم من لا يليق لوظيفة أنزل عنها ورزقه على الله ومن يليق لأعلى منها رفع الى ما يستحق لتوجد الرغبة الحقيقية أولاً وتخشى عواقب الجهل والاهمال ويتوفر على المعارف زمان تجرب فيه المعلمين مرة أخرى ويكون كله خساراً على التلامذة المساكين ولا تقصد بالامتحان الا السوال في الفن الذي يلمه فاذا تبين أنه يمكنه لاحاطة بمسائله ولو بمراجعة الكتب على وجه السهولة عدت عارفاً ثم طلب الالقاء والتدريس وكيفية التفهيم فرب عالم لا يستطيع البيان

يقول الناس إنه يوجد بين المعلمين أشخاص فضلاء نجباء عارفين بفنونهم قادرين على تأديتها بالوجه اللائق لكن يوجد بينهم آخرون ألفوا بعض الطرق العتيقة وتعودوا عليها فلا يستطيعون بعد طول الزمن التحول عنها وان كانوا علماء بفنونهم والبعض منهم يستطيع تأدية القواعد علماً وبمعجز عن تمرين المتعلم عليها عملاً والبعض يوجد خالياً من الأمرين يهزأ به التلامذة ولا يوقرون أستاذه كل ذلك يزعمون مشاهدته بالعيان ويوجد بين المعلمين صنف من النبهاء لا يحب ان يجهد نفسه في التعليم ويكتفي في درسه بحكاية بعض ما وقع له في يومه أو ليلته ثم ينصرف فهل تعينت هذه الاوصاف في أربابها واعترف للفاضل بفضله وعرف الناقص بمقدار نفسه وأنزل كل منزلته؟ هل اختارت نظارة المعارف لأجراء هذا المنشور أشخاصاً

من العرفاء كل في فن مخصوص ليطوفوا على المكاتب الابتدائية والمدارس الخصوصية ولا يكون لهم عمل سوى هذا ليقفوا على أحوال تلامذة جميع المدارس في كل أسبوع أو خمسة عشر يوماً مثلاً ويقدموا جميع ما يرونه من الملاحظات على وجه الدقة التامة فإن رأوا نقصاً عرفوا سببه ومن أي الجهات منبته وإن كان اعماً حاجباً في طريق التعليم ارشدوا المعلم بأنفسهم وبيّنوا له الطريق مرة بعد أخرى فإن اعتدل والا اعتزل ويكون أولئك الأشخاص تحت مسؤولية شديدة إذا ظهر فيما بعد نقص ولم يكونوا نبهوا عليه فإن ذلك يبعث الغيرة وينشط الاجتهاد في المعلمين وغيرهم وتكون حركة المدارس في خط مستقيم يوصل الى المقصود باقرب الطرق المؤدية اليه ويسهل تدارك الخلل اذا ظهر وازالة النقص اذا طرأ؟ هل دقت نظارة المعارف في معرفة أخلاق النظار والاساتذة الذين وضع الاطفال في كفالتهم يدبرون أمورهم ويرشدونهم الى كمالهم وفصلت بين صاحب الاخلاق الفاضلة والافكار المستقيمة والهمة والنزاهة والغيرة على نفع من وكل أمرهم اليه وأداء ما وجب في ذمته حتى يكون حاله وكاله درسا آخر يعطى للتلامذة في كل يوم فتنتج هذه الكمالات في نفوسهم باشد من انطباع صور المعلومات في عقولهم وهو المعنى المقصود من التربية وبين من لاخلاق له بأن يكون أحق أو دينياً أو عديم الغيرة والذمة أو رديء الافكار ونحو ذلك من الذين تكون معاشرته التلامذة لهم موجبة لتلوّثهم بالذائل وتكون كإثارة في الدرس ممزوجة بسم الفساد فتتبع أذهانهم وتكون عاقبة أمرهم إما جهلاً وقد ضاع الزمان وولى الشباب واما علما صناعيا مصحوبوا بشروط تعود على صاحبها بالشقاء وياليتها تكون قاصرة عليه ولكن تتعدى الى غيره بحكم العادة المستمرة وعند الفصل بين الفريقين بارشاد الرقبا النبهاء ذوي الفراسة والخبرة بأحوال العالم وأخلاقهم والامانة في الخبر والصدق فيه يميز الخبيث من الطيب ويبحث عن المستقيمين على قدر الطاقة في أنحاء البلاد لتفويض اليهم تربية الاطفال والشبان ليكونوا رجالاً ينفعون أنفسهم وحكومتهم التي تصرف عليهم المصاريف الكثيرة أملاً بمحصولها على رجال تقيمهم في وظائفها الكثيرة يؤدون واجباتها بالضبط والامانة

يقولون انه لاشك في كون الكتب الموجودة في العلوم العربية مثلا ليست
أساليبها سهلة المأخذ على التلامذة ولا موافقة لطريقة التعليم في المدارس من اشتغال
التلميذ بفنون كثيرة في زمان واحد وأنه يلزم إيجاد طريقة جديدة في التأليف وازالة
كثير من الصعوبات التي عاقت كثيرا من الناس عن التعليم فهل حصلت العناية
بتصنيف تلك الكتب وان حصلت فبمن أنيط تصنيفها وهلا شكل مجلس للنظر
في مثل تلك التسهيلات ودعي اليه أعضاء ممن لهم سمعة في الفكر والاطلاع على
الطرق القديمة والجديدة ويكون لهذا المجلس حق في تعيين الكتب التي ينبغي
تدريسها في أي الفنون حتى يثاني اجراء ذلك المنشور السابق على وجه الكمال

من المحقق ان سعادة عبد الله باشا فكري وكيل عموم المدارس في سفره
الى الجهات البحرية قد رأى أموراً كثيرة تستحق الالتفات وطلب من نظارة
المعارف أشياء مهمة لا بد من تقريرها والاسعاف بها فهل أجب طلبه وحصلت
المذكرة في تلك الآراء القوية التي أبدأها حتى يفرغ من تنفيذ مقتضاها الى
البحث في غيرها من الجهات القبلية

هذه جملة من سوء الاتهم سردناها للاحاطة بما وادنا نجيب عن ذلك بأن نظارة المعارف
هي أعلم بما يجب عليها من جميع ذلك وأنها لا تغفل شيئاً مما تعلمه نافعاً ومفيداً
ومن اليقين أنها لا تشرع في شيء ثم تركه يتم بنفسه بدون مراقبة فالبتة قد
أعدت لمقاصدها وسائل اذ تعلم ان زماننا هذا لا يرى فيه الا الأثر الظاهر ولا
يؤثر عن رجاله الا الاعمال الحقيقية أما صدور الأوامر والنطق بالالفاظ العالية
بدون ترتب فائدة عليها فقد مضى وقته وان الآمال متعلقة برجال تلك النظارة
العرفاء الاجلاء كسعادة ناظرها الا كرم الحريص على تقدم العلم والغيور الرفيع
الهمة سعادة وكيلها عبد الله باشا فكري والبصير الحاذق وكيل المكاتب الاهلية
حضرة على بك فهمي وسنرى من أعمالهم ما يرفع جميع هذه الأوهام ويفتح
للمعارف في عصرنا هذا تاريخاً جديداً فهذه هي الفرصة التي نرى فيها الحكومة
للمالية مساعداً على نشر المعارف وتأييدها فليتنا ان لا نضيعها

وكتب في العدد ٩٩٧ الصادر في ٢٩ المحرم سنة ١٢٩٨ - ٥٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

من المحقق ان نظارة المعارف قد اهتمت وعزمت على فتح مدرسة ليلية تقرأ فيها العلوم الابتدائية لتكون عامة النفع شاملة الفوائد يذهب اليها الرجال الذين شغلهم الكسب والضرورات المعاشية نهارا عن التعلیم مع رغبتهم فيه وميلهم اليه وهم من اوقات الليل الطويل فرصة لا يضيعونها اذا افتتح مثل هذه المدرسة الا في تعلم ما ينفعهم ويزيدهم نورا وبصيرة وسيكون التدريس فيها باللغة العربية التي هي امة بلادنا وقرأ فيها درس باللغة الفرنسية يكون قاصرا على تعليم اللغة لا غير بتدأ فيه من المهجاء الفرنسي الى نهاية ما يلزم ان يتعلم في تلك اللغة اما دروس اللغة العربية فمنها ما هو خاص بتعليم قواعد اللغة ومنها ما يكون في بعض علوم آخر نافعة من آداب وتاريخ احوال الامم وتاريخ طبيعي وبعض مبادئ الرياضه (فيما سميت) بحيث لا تنقص عن تلك المدرسة التي سبق منا الكلام عليها المسماة (بمدرسة الخرجات الليلية) في جوهر ما يقرأ بها وان كانت تختلف عنها بأن هذه تكون لغة التعليم فيها وطنية وتلك اجنبية وهذه آخذة من البدايات وتلك آتية من النهايات وهذه يكون معظم نفعها بل كله لوطنيين وتلك لا توسم فيها ذلك الا ببرهان وهذه الاختلافات وان كانت عظيمة لكنها لا تضرب في المقصود ومما ينبغي ذكره انه ثبت في اذهان بعض الناس ان مجرد تعلم اللغات الاجنبية يعد فضيلة يسمي اليها ويهتم بشأنها مع ان اللغة في ذاتها لا فضيلة فيها ولا يصح أن تجعل غاية تقصد وانما هي وسيلة لما احتوت عليه تلك اللغة من العلوم والآداب والافكار التي ربما لا تكون مبسوطة في اللغة الوطنية كما هي واضحة في اللغة الاجنبية فطالب تعلم اللغة الفرنسية مثلا اذا لم تكن عنده مبادئ علوم وملكة ادراك في بعض الفنون التي يطلب التمكن فيها لا يعد مصيبا في طلبه الا اذا طلب معها تعلم تلك المبادئ حتى انه عند بلوغه الى حد الاقتدار على فهم اللغة يتيسر له الوصول الى الفائدة المقصودة فلا يصح بناء على ذلك أن يكون

التعلم والتعليم الليلين قاصرين على اللغات فقط بل يلزم أن يكون ممها بعض مبادئ العلوم كما عزمت عليه نظارة المعارف الجليلة التي لانزال نرى مساعيها في تقدم أبناء البلاد وبث روح العلم فيهم تأتي من النجاح بما يخلد لسعادة ناظرها ووكيلها طيب الذكر والثناء.

وبافتتاح هذه المدرسة يفهم المجادلون وتبطل حجة اللائمين الذين انصبوا الى البحث في المدرسة الليلية وفوائدها وما يعود على البلاد منها ونشرنا وجوه انظارهم فيها في بعض أعدادنا السابقة فكان هذا العمل من نظارة المعارف برهاننا فعليا لاجديا يقنع الناظرين ويفهم الخاصين ويذهب بتمللات المتعلمين ومطالبها لأصحاب تلك الافكار بالبرهان الفعلي أيضا وهو توجه الهمم الى التعلم وافراغ الجهد في تحصيل ثمرات العلم حتى تظهر فوائد هذا الاثر وانا على يقين من أن المستخدمين وغيرهم من ذوي الكسب الذين يعرفون قدر المعارف ويقدرونها حق قدرها يجيبون نظارة المعارف الى طلبها كما أجابتهم لي طلبهم ويكون اجر يدة الوقائع المصرية شرف الإخبار بخير الأخبار وأجر التنبيه على الأمر وما فيه اهـ

(النار) هذه المقالات وامثالها كانت مبدأ نهضة جديدة في المعارف فهي سبب انشاء المدرسة الليلية المصرية وسبب اشاء المجلس الاعلى لنظارة المعارف كما علم من ترجمة فقيدنا في المجلد الثامن بالاجمال وسيعلم من الجزء الاول من تاريخه بالتفصيل . وله مقالات أخرى في انتقاد أعمال الحكومة والامة كانت حادي الاصلاح ومرشده في سائر المصالح والاعمال . وقد كان من الحكمة اسناد الانتقاد الى حديث الناس لان الكاتب يكتب في جريدة الحكومة ولأن انتقاد الناس أشد تأثيرا من انتقاد واحد وما الناس الباحثون المنتقدون يومئذ الا ذلك الحزب الذي كان الفقيد واستاذة الحكيم عقله المفكر ولسانه الناطق . أما عبارته رحمه فانك تراها على قرب العهد بالازهر واسلوب السجع في غاية السلامة وله مقالات أبلغ منها عبارة لأنها أرقى موضوعا وفكرا وسنورد للقراء نموذجها